ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته وهذا الحديث منطبق على هؤلاء المتفلسفة فان قولهم في المبدأ بالتولد عنه وفي المعاد بعود النفوس الى عالمها من دون اعادة الخلق يتضمن من شتم الله وتكذيبه ما اخبر به رسوله وهذا باب واسع لكن المقدمة الثانية اغرب وهو كون لفظ الكواكب والشمس والقمر في القرآن اريد بالكواكب النفوس الكلية وبالقمر نفس الكل وبالشمس العقل فان هذا مما يعلم بالاضطرار ان لفظ القرآن لا يحتمله لا حقيقة ولا مجازا كما لا يحتمل الاراد بلفظ الشمس والقمر والكواكب ادم وحوا واولادهما اذ هم ابوا ابراهيم واخوته كما كان مثل ذلك بتأويل في رؤيا يوسف وكما لا يحتمل انه اراد بالشمس والقمر والكواكب سلطان ونفسه ووزيره واعوانه وشبه ذلك مما قد يعبر به لعابر فيمن رأى الشمس والقمر والكواكب ثم المراى كيوسف الصديق انما مثل له في منامه سجود هذا الشمس والقمر والكواكب لكن لم تكن هي الساجدة في الخارج بل مثل له ذلك في نفسه وهؤلاء يزعمون ان ابراهيم لم يرد هذا الشمس والقمر والكوكب لا في نفسه ولا في الخارج فكيف اذا حمل على ما هو ابعد وهذا الجواب لا يحتمل البسط الوجه الثالث ان يقال قصة ابراهيم الخليل التي قصها الله تعالى في كتابه مع انها من اعظم سبل الاعتبار لتحقيق التوحيد فقد ضل بها فريقان من الناس واضل ضلالهم انهم اعتقدوا ان ابراهيم لما قال هذا ربي مخبرا او مستفهما او مقدرا اراد ان هذا هو الذي خلق السموات والارض وانه رب العالمين ثم انهم لما ظنوا انه اراد هذا سلك هؤلاء سبيله وهؤلاء سبيلا ولو تدبروا القصة لعلموا انها تدل على نقيض قولهم فالفريق الاول طوائف من اهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من غيرهم حتى مثل ابن عقيل وابي حامد وغيرهم قالوا ان هذا الذي سلكه ابراهيم هو الدليل الذي سلكه هؤلاء في حدوث الاجسام حينئذ استدلوا على ذلك في الدلالة

بما قام بها من الاعراض الحادثة كالحركة واثبتوا حدوث الاعراض او بعضها ولزومها للجسم او بعضها ثم قالوا وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث ثم منهم من اخذ ذلك مسلما ومنهم من تفطن للسؤال الوارد هنا وهو الفرق بين ما لا ينفك عن عين الحوادث او نوعه فان الحادث المعين اذا قدر انه لازم لغيره فلا ريب ان ما دث هذا معلوم بالضرورة والاتفاق واما ما يستلزم نوع الحوادث فانما يعلم حدوثه اذا قدر امتناع حوادث لا اول لها فاخذوا في تقرير هذه المقدمة بما ذكروه والمقصود هنا ان من هؤلاء من جعل هذا هو دليل ابراهيم الخليل على اثبات الصانع وهو انه استدل بالافول الذي هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك ولو تدبروا لعلموا ان قصة ابراهيم هي على نقيض مطلوبهم ادل الاقوال اما اولا فان ابراهيم انما قال لا احب الافلين والافول هو المغيب والاختفاء بالعلم العام المتواتر الضروري في النفس واللغة ولم يقل احد ان الافول مجرد الحركة واما ثانيا فانه قد قال فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ومعلوم انه من حين البزوغ ظهرت فيه الحركة فلو كانت هي الدليل على الحدوث لم يستمر على ما كان عليه الى حين المغيب بل هذا يدل على ان الحركة لم يستدل بها ولم تكن تدل عنده على نقيض مطلوبه اما ثالثا فانما قال لا احب الافلين فنفى محبته فقط ولم يتعرض لما ذكروه واما رابعا فمن المعلوم ان احدا من العقلاء لم يكن يظن ان كوكبا من الكواكب دون غيره من الكواكب هو رب كل شيء حتى يكون رب سائر الكواكب والافلاك والشمس والقمر وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع والفريق الثاني من ضرب لك من متفلسفة الصوفية المتصوفة انه النفوس والعقول كما ذكره ابو حامد ومعلوم ان هذا افسد من الاول بكثير مع انه في المشكاة وضح حال من يعتقد الالهية هذه فيما راى على طوائف السلف الصابئة المعترفين برب العالمين فانه لما ذكر الحجة ثم اخذ في تفسير الحديث المكذوب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)